**اسم المادة الدراسية باللغة العربية : منهج البحث التاريخي**

**اسم المادة الدراسية باللغة الانكليزية : Historical Research Method**

**اسم المحاضرة : مفهوم التاريخ ومنهج البحث التاريخي**

**اسم التدريسي : أ.د.مظهر عبد علي**

**المستوى الدراسي : الأول**

**الدراسة : الصباحية**

**الأسبوع : الأول**

**تعريف التاريخ :**

يعرف التاريخ بأنه: "هو كل ما حدث" أو "هو رواية وتدوين كل ما حدث" وهو "فعالية علمية من فعاليات المعرفة البشرية ، تتسع ساحتها لكل شؤون الإنسان" وقد عرفه بعض الباحثين بأنه "التدوين الموثق للأحداث الماضية" وعرفه البعض الآخر "بأنه وصف الحقائق التي حدثت في الماضي بطريقة تحليلية ناقدة" ومن هذين التعريفين نستخلص أن علم التاريخ لا يمكن فصله بل ربطه مع المنهج التاريخي ، وذلك باعتبار أن البحث أو التقصي العلمي وسيلة موضوعية هدفها الوصول إلى نتائج أو قوانين أو قواعد يمكن تعميمها واستخدامها للتنبؤ بما يحدث في المستقبل ضمن السياق التاريخي .

أما منهج البحث التاريخي فتعرفه بأنه: "مجموعة الطرائق والتقنيات التي يتبعها الباحث التاريخي والمؤرخ للوصول إلى الحقيقة التاريخية ، وإعادة بناء الماضي بكل وقائعه وزواياه ، وكما كان عليه في زمانه ومكانه ، وبجميع تفاعلات الحياة فيه" وهذه الطرائق قابلة دوما للتطور والتكامل ، مع تطور جموع المعرفة الإنسانية وتكاملها ومنهج اكتسابها .

لقد دار جدل ونقاش حول طبيعة المادة التاريخية وطرائق الوصول إلى الحقائق العلمية المجردة الثابتة، وكان على المؤرخين أن يثبتوا أن التاريخ معرفة علمية دقيقة ، غنية بتجربة قرون طويلة لها منهج أو طرائق في البحث والاستقصاء عن الحقيقة لا تقلل في علميتها وصحة وسائلها عن مناهج العلوم الوضعية الأخرى .

وهكذا بحث عدد من المؤرخين في طرائق علم التاريخ ، وأثبتوا في كتبهم ومقالاتهم أن علم التاريخ علم يعود إلى الحقيقة الثابتة والمؤكدة ، وفي عام "1894م" صدر كتاب حول منهج البحث التاريخي ، قام بوضعه أرنست برنهام "E. Berhiem" ، جمع فيه ما كتب عن المنهج التاريخي ، وكان كتابا لنخبة المثقفين ، لا يتضمن طريقة صحيحة في البحث لمن يريد أما المؤرخ فوستيل دوكولانج "Fustal de Coulanges" فقد قام بتحويل قواعد المنهج التاريخي ، هو الكتاب الذي ألفه المؤرخان الفرنسيان لانغلوا "Langglois" وسينوبوس "Seiglbaus" ، في أواخر القرن "التاسع عشر" وأطلق عليه اسم "مدخل للدراسات التاريخية Introduction aux etudes Historiques" صدر في باريس عام "1898" وقد ترجم جزء منه إلى اللغة العربية .

تتالت الأحداث المشابهة بعد ذلك ، لكن في البلاد العربية لم ينبرِ أحد لدراسة هذا الموضوع حتى الربع الثاني من "القرن العشرين" على الرغم من أن المؤرخين العرب أدركوا كثيراً من الأساسيات العلمية لمنهج البحث التاريخي بمضمونها الحديث ، وكتبوا فيها ونموذجهم الأكبر ابن خلدون "ت 808هـ/ 1406م" والكافحي "ت 879هـ/ 1474م" والسخاوي "ت 902هـ/ 1496م" وجلال الدين السيوطي "ت 911هـ/ 1505م" وعبد الرحمن الفاسي "ت 1096هـ/ 1684م" .

بل إن المحدثين والفقهاء الذين دققوا في الأحاديث والسيرة ، كانوا كذلك روادا في هذا الميدان ومنهم الغزالي "ت 505هـ/ 1111م" وابن الصلاح عثمان الشهزوري "ت 641هـ/ 1243م" وابن تيمية " "ت 728هـ/ 1328م" ومحمد بن أحمد الذهبي "ت 748هـ/ 1348م" عن رجال الحديث .

**إنشاء البحث التاريخي :**

من خلال ما قام به الباحث التاريخي من إجراءات توصل إلى مجموعة كبيرة من الحقائق في هيكل تصنيفي معين ، وفي سياق تعليلي محدد ، وعمله لا يكتمل إلا بالتدوين ويميز النقاد التاريخيون في هذه الخطوة بين عمليتين: عملية الصياغة وعملية العرض .

**أ- الصياغة التاريخية :**

وهي آخر العمليات التركيبية ، يسعى فيه المؤرخ للتعبير عن نتائج بحثه ، وهي تقابل في العلوم الأخرى الدساتير أو القوانين التي تأخذ في بعض العلوم "صياغة رياضية" ، أما في التاريخ فالصياغة وصفية ، دقيقة موجزة وهنا يصطدم المؤرخ بمشكلة هي أول ما يجابهه وهي مشكلة "ما هو المهم" من الحقائق التاريخية ، وفي أغلب الأحيان تستمد الحقيقة أهميتها من علاقتها ببيئة المؤلف وعصره وبهدفه أو أهدافه في كتابه التاريخ ، ومن المؤكد أن هناك حقائق في كل موضوع بمثابة العمود الفقري منه ، ولا معدى لجميع المؤرخين الذين يطرقونه عن الاستناد إليها ، مهما كانت الظروف والعصر اللذان يعيشون فيهما ، ومع ذلك فإنه يمكن القول: إن هذا لا يضمن اتفاقهم في القواعد العامة التي يصلون إليها ، إذ قد يجد كل واحد منهم في الحقائق ذاتها معاني مختلفة .

وقضية ما هو مهم لها تفسيران: المهم في نظر الماضي والمهم الآن ، والتاريخ العلمي الدقيق بحسب المؤرخ الألماني "فون رانكة: 1795-1886م" هو القائم على المعنى الأول وهذا يتطلب توفر ما يسمى "الحاسة التاريخية" لدى الباحث ، وهذا الاتجاه في الدراسة التاريخية ، هو ما يعبر عنه بلفظ "الموضوعية" وهو الذي ساد في القرن "التاسع عشر" ، وسعى المؤرخون خلاله أن يحققوا بهذا المثل الأعلى .

شاع التيار الثاني منذ مطلع القرن "العشرين" الذي تحدى فكرة "الموضوعية" على أساس أنها غير ممكنة التحقيق ، ومع أنه من المتفق عليه مبدئيا أن الباحث الموضوعي ينتقي عادة من الحقائق ما كان لها أكبر النتائج على تطورات أتت بعدها ، أو ما يمكن أن يستشف منها ما سيأتي ، أو تلك التي انبثقت بشكل طبيعي مما سبقها ، فإن النقادة التاريخية قد وضعوا بعض نقاط هادية في هذا الطريق ، وميزوا بين ثلاثة أنواع من الحقائق: الحقائق العامة وهي المشتركة بين مجموع كبير من الناس أو الحقائق التي لها صفة أكثر ديمومة من غيرها "العادات ، النظم" والحقائق الفردية أو الشخصية وهي التي تخص شخصية تاريخية معينة ، وحقائق الحوادث وتعتبر من الحقائق الخاصة ؛ لأنها تحدث مرة واحدة ومحددة بزمانها ومكانها .

تدعم الصياغة الكمية الصياغة الوصفية للحقائق ، وهي الآن عنصر حيوي في الكتابة التاريخية المعاصرة ، ويمكن حصر الصيغة الكمية في التاريخ بـ: المقياس والتعداد وهو أمر إحصائي والتقدير وهو تعداد ناقص يقوم به الباحث في مجال محدود وأخذ العينات أو النماذج وهو تعداد نسبي مقصور على بعض وحدات مأخوذة من ميدان البحث .

قد تترجم الصيغة الكمية في التاريخ إلى صيغة خطية بيانياً معتمداً فيها الباحث على الوسائل الإحصائية المختلفة ، كما أن الصيغة الوصفية تعتمد على صيغة مكانية بيانية توضحها طريقة ما فالصياغة التاريخية إذن هي تركيز وتكثيف مدون للحقائق التاريخية العديدة ، ومحاولة لوضعها في صيغة عامة واحدة .

وفي الحقيقة إن عملية الصياغة التاريخية هي جزء من عملية التركيب التاريخي ، إذ قد تقود إلى التعليل أو التعليل إلى الصياغة الصحيحة ، وهي تركيز وتكثيف مدون للحقائق التاريخية العديدة ، ومحاولة لوضعها في صيغة عامة واحدة ، تسقط منها الحقائق المتغيرة وتبقى الثابتة والمشتركة منها .

**ب- العرض التاريخي :**

وهو إخراج الموضوع وحدة كاملة متماسكة الأطراف ، بحيث يكون إحياء للماضي يتحسسه الباحث القارئ ، وهذه الخطوة مهمة وعسيرة ، ويتبين في العرض أمران رئيسيان: أولهما اتباع الباحث مخططا واضحاً وثانيهما استخدام الباحث أسلوباً كتابياً ملائماً والعمليتان متكاملتان .

يعرف الباحث حقائقه بموجب الصيغة التي توصل إليها مترابطة ومتماسكة وشارحة وموضحة الواقع التاريخي الماضي ، مع تأكيد على التعليل ومناقشة رصينة للآراء ، ودعم بالأدلة والشواهد ، وقد لا يستدل الباحث بمعنى مضمون الوثيقة فحسب ، وإنما يقتبس من النص فقرة أو فقرات ، وقد يتضح للباحث أثناء عرضه التاريخي أن هناك نواقص وثغرات في بحثه لا بد أن تستوفي ، فيلجأ إلى بحث تلك النواقص ، وقد يضطر إلى تعديل نتائجه بل وتغيير توضيع الفصول نفسها ، نشير بخاصة إلى أسلوب عرض البحث التاريخي ، إذ أن الأسلوب الأدبي الصرف غير مستساغ أبداً في الكتابة التاريخية ؛ لأنه قد يحرف الحقائق عن مسارها الدقيق ، بما يطرحه من ألفاظ عامة ، أو حاملة لصفة المبالغة ، أو منجرفة وراء الخيال ، فالكتابة التاريخية فن لا يمتلك ناصيته جميع المؤرخين ، إنها كتابة بعيدة عن الإطناب الممل والاختصار المخل ، بعيدة عن المبالغات أو التعصبات أو الإخلال بالموضوعية تظهر من خلالها شخصية الباحث الذي يجب أن يجلو قصة الإنسانية بوضوح وأمانة .